الباب الأول: مدخل عام

الفصل الأول: الامبريالية المعنى والتاريخ

الإمبريالية: سلوك دولة تمارس سلطتها إما بغزو أراض جديدة، وإما بتطويع سيادة دولة أخرى لصالحها وقد ظهر هذا المفهوم في لغة العلاقات الدولية منذ بداية القرن العشرين في معرض تشبيه الدول المستفيدة من الانفتاح الاستعماري بالنموذج الإمبراطوري القديم ويجب فهم الإمبريالية في إطار اعتبارات اقتصادية وكوسيلة تسمح للرأسمالية بأن تتجاوز تناقضاتها بإيجاد أسواق جديدة لرؤوس أموالها وللفائض في إنتاج سلعها وقد زاد النقاش حول المفهوم خلال النصف الثاني من القرن العشرين، عندما كان المشروع الإمبريالي يخلط بين السيطرة على الأراضي كالاتحاد السوفيتي في أوروبا الوسطى أوالولايات المتحدة في فيتنام وبعض بلدان أمريكا اللاتينية،وتابعية بعض الدول التي أصبحت فيما بعد محدودة السيادة، ومراقبة الشبكات الاقتصادية، أوالتكنولوجية، أو الثقافية عندها لا تتطلب الإمبريالية غزواً عسكرياً ولا حتى مبادرة حقيقية من الدولة، بل تتصرف على أنماط أكثر انتشاراً ولا مركزية.

وهي سياسة توسيع السيطرة أو السلطة على الوجود الخارجي بما يعني اكتساب أو/وصيانة الامبراطوريات وتكون هده السيطرة بوجود

منـاطق داخـل تلـك الـدول أو بالسـيطرة عـن طريـق السياسـة أو الاقتصـاد ويطلـق هـذا التعبيـر علـى الـدول التـي تسـيطر علـى دول كانـت موجـودة ضمن امبراطوريـة دول مسيطرة وقد بدأت الامبرياليـة الجديدة بعد عام ١٨٦٠ عندما قامت الدول الأوروبية الكبيرة بـاحتلال دول أخرى وأطلـق هذا التعبير على انجلترا وفرنسا أثناء سيطرتهما على أفريقيا.

الامبرياليـة كمصطلح

والامبرياليـة هـى الرأسـمالية فـى مرحلـة الاحتكـار فمـن السـمات الجوهريـة للامبرياليـة تنـافس عـدد مـن القـوى الكبـرى فـى النـزوع إلـى السيطرة ،والاستيلاء على الأراضى وهى مرحلـة خاصـة من الرأسمالية فهـى المرحلـة الاحتكاريـة لهـا وتختلـف الامبرياليـة كعلاقـة بـين البلـدان الرأسمالية والبلـدان التابعـة عـن الاسـتعمار أو احـتلال الأراضـى اختلافـاً جوهرياً، فهى هيمنـة هيكلية حيث قامت الرأسمالية بفضل نموها الهائل والتطور التقنـى الـذى حققتـه واللذان توسطا تحول المنافسـة الحرة إلـى الاحتكار بتحويل التشكيلات الاجتماعيـة والاقتصـادية قبل الرأسمالية فـى آسيا وأفريقيا وأمريكا الجنوبية والوسطى إلـى بنـى متخلفـة تتميـز بـالنمو المركب تحت سيطرة رأس المال التجارى التـابع للرأسمالية عبر السوق الدولى.

الإمبرياليـة والحـرب: اتسـم القـرن العشـرون بأنـه قـرن الحـروب فقـد ارتبطت الهيمنـة الرأسمالية منـذ البدايـة بنمـو القوّة العسكرية والجذور

التاريخية لهذه العملية ترجع إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر عندما بدأت الشركات الاحتكارية الكبيرة تتكون على حطام الشركات الصغيرة التي أفلست في الأزمة الاقتصادية وابتلعت الشركات الكبيرة معظم الشركات الصغيرة لتقلص بذلك مساحة التنافس الاقتصادي الحر داخل كل دولة ومن ثم بدأت المنافسة بين الرأسماليين تأخذ شكلاً جديداً من التنافس بين رؤوس الأموال القومية على مستوى عالمي فعندما نمت الشركات خارج حدودها الوطنية وبحثت عن أسواق جديدة واستثمارات ومواد أولية عبر الكرة الأرضية، استعانت بخدمات أجهزة القمع للدولة لتدمير مقاومة الشعوب الأخرى، ولقطع الطريق علي المنافسة من جانب الدول الرأسمالية الأخرى التي تحاول الحصول علي نصيب من غنائم المستعمرات والتوسع العالمي للرأسمالية لم يتم بصورة مبنية علي اختيار عقلاني لمآثر النظام على العكس من ذلك، كانت كل دولة كبرى تمارس الضغوط الممكنة لمساعدة طبقة الرأسماليين بها علي الحصول على مميزات يتفوقوا بها علي منافسيهم الأجانب وصراع الرأسماليين من دول مختلفة أصبح صراع حياة أو موت بين جيوش ومؤسسات حكم ،بترسانتها الضخمة من الأسلحة المدمرة والوسائل الدبلوماسية الماكرة المفتقرة لأدنى قدر من الشرف ذلك الصراع عديم الرحمة أنتج رعب الحربين العالميتين الأولى والثانية وقد حصد نظام المنافسة الإمبريالية عشرين مليون شخص في الحرب

العالمية الأولي، ثم خمسين مليون آخرين في الحرب العالمية الثانية وتحطمت كل الأرقام القياسية بإضافة ٢٣ مليون قتيل جديد في١٤٩ حرباً أخرى جرت في ظل المنافسة بين الولايات المتّحدة والاتحاد السوفيتي، القوتان العظميان في ظل الحرب الباردة ومع ميلاد ما سُمي بالنظام العالمي الجديد لم تختف الحروب، بل ازدادت نارها اشتعالاً فقد شهد عقد التسعينات عشرات الحروب أهمها الحربين الإمبرياليتين الرئيسيين، في الخليج عام ١٩٩١،وفي البلقان في ١٩٩٩ هذا بالطبع بالإضافة إلى الحرب ضد أفغانستان في ٢٠٠١ وتركت الهزيمة المدوية للإمبراطورية السوفيتية، الولايات المتحدة منفردة بقيادة العالم وعاملان أساسيان لعبا دوراً جوهرياً في تحديد مسار الصراع الدولي على وراثة التركة السوفيتية العامل الأول هو أزمة الرأسمالية العالمية فعلى خلاف الحال عند انتصار الحلفاء على المحور في الحرب العالمية الثانية، تزامن انتصار المعسكر الغربي في الحرب الباردة مع مرحلة أزمة رأسمالية ممتدة بدأت في مطلع سبعينات القرن الماضي فالولايات المتحدة التي ضخّت مليارات الدولارات في الأربعينات تحت غطاء مشروع مارشال لإعمار أوروبا بعد أن دمرتها الحرب، لم تكن قادرة في مطلع التسعينات على فعل الشيء نفسه بعد أن قلّصت ميزانيتها للمساعدات الخارجية من ٥% من الدخل القومي في الستينات إلى أقل من ٢.٥% في العقد الأخير من القرن الماضي.

والعامل الثاني هو تناقضات المعسكر الغربي ذاته إذ أن التنافس العسكري الاقتصادي الذي أجهد الاتحاد السوفيتي على مدى سنوات ثم قضى عليه كان هو الذي ساهم في خلق الوحش العسكري الأمريكي مقارنة بالأقزام الأوروبية وميزانية الإنفاق العسكري لدى الولايات المتحدة اليوم تصل إلى ٣٧% من إجمالي الإنفاق العسكري العالمي، واندماج هذان العاملان على مدى معظم سنوات التسعينات هو الذي حدد تطورات الأحداث فالولايات المتحدة كانت لديها القدرة العسكرية على وراثة الإمبراطورية السوفيتية، ولكن لم تكن لديها القدرة الاقتصادية الكافية لاحتواء ما ورثته والحفاظ عليه وأوروبا واليابان أيضاً، كانت لهما مصالحهما الاقتصادية الأساسية في وسط آسيا والشرق الأوسط، ولكنهما افتقرا إلى الذراع العسكرية التي يمكنها أن تحقق تلك المصالح وفي مطلع التسعينات كانت الولايات المتحدة تضع هدف الحفاظ على علاقة ودية مع روسيا الاتحادية تحت رئاسة يلتسين في أولوية أهدافها الاستراتيجية ولهذا السبب لم تسع مباشرة إلى خلق منطقة نفوذ في الساحة الآسيوية الخلفية لروسيا ولكن الصراع في البلقان لعب دوراً هاماً في تغيير هذا الوضع فقد أدى الفشل المهين لأوروبا في البوسنة في أواسط التسعينات، وفي كوسوفو في أواخرها، إلى تأكيد حقيقة الهيمنة العسكرية الأمريكية شبه المطلقة، ومن ثم إلى فتح شهية أمريكا للقيام بعمليات عسكرية دون الحاجة إلى غطاء الأمم المتحدة كما كان

الحال في حرب الخليج الثانية ولعب الانهيار الاقتصادي في روسيا وأغلب دول شرق أوروبا دوراً في الإجهاز على ما تبقى من القوة الروسية وحتى نفهم الدوافع الحقيقة وراء خطط الحرب الأمريكية ضد العراق، ليس هناك مفر من أن نتحدث عن سياسة النفط فتاريخ علاقة الإمبريالية العالمية بالشرق الأوسط لا ينفصل عن تاريخ المحاولات المتكررة للسيطرة بشكل كامل ونهائي على إمدادات النفط في هذه المنطقة الحيوية من العالم وقد شكّل استخراج النفط في مطلع القرن العشرين نقلة نوعية جديدة في التاريخ الإنساني، بعد أن أصبح مصدراً رئيسياً للطاقة اللازمة لتدوير آلة الصناعة في الدول المتقدمة وبعد تقسيم شرق المنطقة العربية بين القوى الإمبريالية العالمية الفرنسية والبريطانية بموجب اتفاق سايكس-بيكو، وجدت الولايات المتحدة نفسها خارج القسمة وحسب وجهة النظر الأمريكية لم يكن هؤلاء الحلفاء قادرين على الانتصار في الحرب العالمية الأولى لولا النفط الأمريكي ففي تلك الفترة كانت الولايات المتحدة أكبر منتج ومصدر للنفط في العالم ومع ذلك لم تتوقف عن تهديداتها لبريطانيا وفرنسا باستخدام القوة ضدهما إن بقيت شركات النفط في منطقة الخليج حكراً على الأوروبيين واضطر الأوروبيون في النهاية إلى التنازل عن جزء من أسهم هذه الشركات في المنطقة للشركات النفط الأمريكية لذا فإن منطقة الشرق الأوسط الكبير ستتسم بطابع دولي في شكل مباشر والقوى التي

ستسيطر عليها سيكون لها القدرة مستقبلاً على تسيير دفة الاقتصاد العالمي طبقاً لمصالحها الخاصة ومن هنا يمكننا أن نفهم سعي الإمبريالية الأمريكية إلى الهيمنة العسكرية المباشرة علي هذه المنطقة من العالم.

الإمبريالية الليبرالية الجديدة أصدر مركز السياسة الخارجية البريطاني سنة ٢٠٠٢ مجموعةً مقالات بعنوان إعادة ترتيب العالم، اشتملت على مساهمات من إيهود باراك، ومن العرب كنعان مكّية وفريد زكريا، وقدّم لها توني بلير شخصياً الغريب أن العالميْن العربيَّ والإسلاميَّ احتلاّ النصيبَ الأكبر من اهتمام دراسات معنيّة بإعادة ترتيب العالم تضمّنت هذه المجموعةُ مقالةً لروبرت كوبر بعنوان دولة ما بعد الحداثة يدعو فيها إلى دول جديدة ونظرية جديدة للتدخل الإنساني تضع قيوداً على سيادة الدول اكتست هذه المقالةُ أهميةً خاصة بالنظر للعلاقة التي تربط كاتبَها برئيس وزراء بريطانيا توني بلير، ولردودِ الفعلِ السلبيّةِ الحادّة التي ولّدتها لدى الدوائر الليبرالية الغربية على وجه الخصوص.

فنجد هنا مبرِّراتِ المشروع الاستعماري في مرحلة ما بعد الحداثة ينضح عنصريةً ونزوعاً إلى هيمنة عالمية لا تتردّد في كشف القناع عن الوجه الحقيقي للمحتل الجديد القديم المستعمِر الأوروبي لم يتغيّر، وأهدافُه لم تتغيّر لغتُه وأدواتُه وتبريراتُه فقط هي التي تتغير ورسالتُه لم

تعُد جلبَ أدوات وقيم الحضارة لأمم همجية أو فتحَ الممرّات أمام التجارة، فلكلّ عصر لغتُه.

المسلمون والإمبريالية الأمريكية: حسب بعض المؤيدين لفكرة المؤامرة الطائفية فإن ما يشهده العراق حالياً هو جزء من خطة واسعة يمكن أن ندعوها صناعة أمريكية لتقسيم وتشتيت شعب العراق خاصة، والعالم العربي الإسلامي عامة ،فحسب فكرة المؤامرة الطائفية، فان مئات الآلاف من المسلمين قُتلوا عندما دفعت الولايات المتحدة نحو إشعال الحرب العراقية الإيرانية مع استمرارها فى تزويد الطرفين بآلة الدمار بغية إنهاك الدولتين وبذر عوامل الكراهية والشقاق بين المذهبين الإسلاميين كذلك قُتل مئات آلاف أخرى عندما قررت الولايات المتحدة التخلص من النظام العراقي السابق أضف إلى ذلك ضحايا العدوان الأمريكى على كل من باكستان وأفغانستان.

صور الامبريالية: إن الدول النامية تكون في الغالب منتجة للمواد الأولية والحاصلات الزراعية لذلك لابد أن تعتمد على الدول الصناعية المتقدمة لتصدير منتجاتها إليها لذلك يصبح لدى الدول الإمبريالية المبرر لفرض سيطرتها على مثل هذه الدول النامية سواء من الناحية التجارية أو من ناحية حركة رءوس الأموال وتبعاً لذلك تستطيع الدول الإمبريالية أن تفرض سيطرتها على مجرى عملية التنمية في الدول النامية من حيث عرقلتها إذا أرادت أو توجيهها وجهة معينة إذا أرادت أو الاحتفاظ بها

منتجة للمواد الأولية والحاصلات الزراعية ومواد الطاقة كما أن تبعية الدول النامية للدول الإمبريالية تشكل العقبة الأساسية لنمو الدول المتخلفة نمواً صحيحاً متكاملاً ومتسارعاً لذلك أصبحت هذه التبعية أساس الصراع العالمي الاقتصادي والسياسي والعسكري في المرحلة الحاضرة ولن تستطيع الدول النامية أن تكسر طوق هذه التبعية المدمرة لاقتصادها إلا بالتكامل الاقتصادي فيما بينها وتحقيق أكبر قدر من الوحدة بين المجموعات المتشابهة من هذه الدول حتى تتحقق لها القوة في مواجهة الدول الإمبريالية اقتصادياً وسياسياً والاقتصاد الإسلامي لا يعترف بالامبرالية لأنها تعمل على التفرقة بين الدول بعضها وبعض وتضع الحواجز والعراقيل بين الدول وتعتبر من السياسات التي تضعف الدول، ولكنه يدعو إلى التكامل بين الدول والأفراد وهذا ما رفضته الامبرالية الاقتصادية لأن الدين الإسلامي دين يدعوا إلى الشمول ولا يفرق بين سياسة وأخرى وهذا ما يميز الدين الإسلامي والاقتصاد الإسلامي عن سائر الأنظمة ومن أهم المظاهر الاقتصادية الرئيسية للإمبرالية:

١- تركز الإنتاج ورأس المال إلى الدرجة التي تبعث على قيام الاحتكارات الضخمة التي تسيطر على الحياة الاقتصادية وتلعب فيها الدور الحاسم.

٢- امتزاج رأس المال المصرفي برأس المال الصناعي مما يترتب عليه ظهور قلة من المصرفيين تتحكم في نواحي النشاط الاقتصادي.

٣- تصدير رأس المال إلى الخارج لجنى أرباح أكبر وفرض المزيد من السيطرة بحيث يصبح أعظم بكثير من تصدير السلع والخدمات.

وبذلك يمكن القول أن الإمبرالية الاقتصادية هي أعلى مراحل الاستعمار في عصرنا الحديث إذ بها تسيطر الدول الإمبرالية على الحياة الاقتصادية وتفرض هيمنتها على الدول الضعيفة .

الامبريالية السياسية: ينظر للإمبريالية من زاوية السياسة، انطلاقاً من المعنى الحرفي لكلمة إمبريالية، التي تعني الاستعمار وكانت قد جرت ترجمة كتاب لينين الإمبريالية أعلى مراحل الرأسمالية على أنها الاستعمار أعلى مراحل الرأسمالية، بينما كان لينين يتحدث عن شيء آخر غير الاستعمار الذي هو احتلال دولة لدولة أخرى، يتعلق بتكوين اقتصادي سياسي عالمي تسيطر عليه الرأسمالية بجعل الربط الاقتصادي بديلاً عن الاستعمار المباشر، ولهذا انتقلت السيطرة من السياسة إلى الاقتصاد والدارج الآن هو النظر إلى الإمبريالية كمشروع سيطرة سياسية،أي من زاوية سياسية محضة، إذ يحل بدل الاستعمار القديم الذي كان قائماً على الاحتلال،القوى الإمبريالية في إلحاق النظم الأخرى، وإتْباعها بسياساتها وفي المقابل، هناك من يرى في السيطرة الاقتصادية أو التبعية الاقتصادية صيغة جديدة للاستعمار القديم المباشر، وبالتالي يجعل هذه مثل تلك، ويظل الهدف هو التحرر بمعناه السياسي، ومن ثم

الاقتصادي ويجري النظر إلى الإمبريالية من المنظور السياسي كذلك أي يجري قلب الموضوع من شكل الدولة المتفق مع التبعية الاقتصادية إلى التبعية الاقتصادية الناتجة عن شكل الدولة.

بريطانيا وأمريكا كانتا إمبرياليتين، تختلفان في المصالح وتتفقان وروسيا وأمريكا الآن هما إمبرياليتان تتصارعان على تقاسم الغنائم وتتفقان، كل ذلك دون أي حساب لمصالح الشعوب ولقد اختلفت فرنسا وألمانيا مع أمريكا في السنوات السابقة على عدد من المسائل منها الحرب على العراق دون أن يلغي ذلك كونها إمبرياليات، لكن يبدو أنّ هناك من يريد التخلص من السيطرة الأمريكية دون أن يلحظ وضع بديلها، بالضبط كما توهم عبد الناصر ورهط من القوميين، والصراع العالمي هو صراع بين دول، لكنّه يعبّر عن مصالح طبقات مسيطرة فيها وسعي كلّ منها لكي يفرض سيطرته على العالم، ما دامت كلّها باتت تحكمها الرأسمالية، من فرنسا وأمريكا إلى روسيا والصين، لكن إذا جرى النظر من زاوية السياسة فقط، فسيتحدد الموقف منها على ضوء حدث ما.

<u>الامبريالية الثقافية</u>: في عشرينات القرن العشرين، قبل انتشار مقولة صراع الحضارات وتوظيفها لشن الحروب،وقبل صعود الحركات الإسلامية بأمد طويل، صاغ المفكر الماركسي الإيطالي أنطونيو جرامشي

١٨٩١ ـ ١٩٣٧ في دفاتر السجن مفهوماً اجتماعياً-سياسياً جديداً وقتها هو مفهوم الهيمنة الثقافية وقد سعى من خلال ذلك المفهوم إلى تفسير سبب عدم انتشار الثورة الاشتراكية إلى أوروبا الغربية قائلاً أن هيمنة الطبقة الرأسمالية على المجتمع لا تعتمد على القوة والمال والسلطة فحسب، بل على رضا الأغلبية المسحوقة، عندما تتحول قيم الطبقة الحاكمة ومفاهيمها إلى قيم بديهية عند عامة الناس يرون الخروج عنها خروجاً عن المنطق السليم ومن هنا اعتبر جرامشي أن الهيمنة الثقافية بالتحديد، تشكل بعداً أساسياً لهيمنة الرأسمالية على المجتمع لا يمكن تجاهلها في خضم الإعداد للثورة السياسية أو حتى لفهم الوضع السياسي الراهن وانطلق جرامشي، ليحاجج بأن نجاح الثورة أو التغيير الاجتماعي يعتمد بشكل أساسي على إنتاج ثقافة بديلة عند الشرائح المسحوقة في المجتمع، تكرس ربط المعاناة الخاصة للمواطن بالمشكلة العامة، لأن الفرد قد يعيش أو يلمس انعكاسات البنية الاجتماعية الظالمة على وجوده، دون أن يتمكن من رؤية الأسباب الأساسية للظلم الاجتماعي والاقتصادي والسياسي وفيما بعد طور جرامشي هذه الفكرة في كتاب الأمير الصغير ليتحدث عن دور الطليعة الثورية في المجتمع في إنتاج مثقف عضوي، من صفوف المستضعفين، يحمل ثقافة بديلة للثقافة السائدة، ثقافة بديلة بكل ما للكلمة من معنى، وعضوية بمعنى أنها بديلة لشريحة الإنتلجنسيا، أو شريحة منتجي

الثقافة والفكر والفن والكتابة دون أن يكون كل هؤلاء من الكتاب وهي شريحة تمثل أداة الهيمنة الثقافية للرأسمالية على المجتمع، قد تظن نفسها فوقه أو منفصلة عنه، وهي في الواقع جزء عضوي من نوع آخر للهيمنة التي تفرزها البنية الاقتصادية الاجتماعية السائدة على عقول الناس وقلوبهم ومفهوم الحرب الثقافية التي اعتبرها جرامشي حرب بين جيوش ثابتة،لابد لها أن تسبق الحرب المتحركة، وهي مرحلة الهجوم أو الثورة السياسية فدخل مفهوم الحرب الثقافية معجم العلوم السياسية والاجتماعية، وإن كان جرامشي، قد ربط بالصراع الاجتماعي الداخلي عند هذه النقطة لا الخارجي، وقد عنى به تحديداً ضرورة قيام السياسيون والمفكرون المعادون للبنية السائدة وهيمنة النظام الرأسمالي بمحاولة طرح فكرهم وخطهم في وسائل الإعلام ومنظمات الجماهير ومؤسسات التعليم بقصد تعزيز الوعي وغرس الاقتناع ببديل آخر للفكر السائد ومع أن جرامشي هو واضع فكرة الهيمنة والحرب الثقافية اللازمة للتخلص من تلك الهيمنة، يسهل كثيراً أن نتخيل نسخة قومية أو إسلامية، أو حتى إمبريالية، من مفهومي الهيمنة والحرب الثقافية ففكرة جرامشي يمكن سحبها على كل حالة تعمل فيها جماعة بشكل منظم لنقل الثقافة السائدة للأمام أو للخلف ويمكن سحبها على جهود الغرب لتغيير قيم المجتمع العربي ومفاهيمه، من خلال مراكز الأبحاث ومنظمات التمويل الأجنبي مثلاً، وعلى مشروع إحلال ثقافة قومية محل الثقافة

السائدة الطائفية والعشائرية عامة، أو بالعكس وفي التسعينات من القرن العشرين، انطلق محافظوا الحزب الجمهوري في الولايات المتحدة ليشنوا حرباً ثقافية، كما سميت رسمياً وقتها، لإعادة تنظيم المجتمع الأمريكي نفسه من خلال نفس الآليات التي وصفها جرامشي، مثل التعبئة والتنظيم وشن حملات في وسائل الإعلام والمؤسسات التعليمية والثقافية والمنظمات الجماهيرية والقضاء وكان ذلك على خطوط ثقافية الطابع تشق المجتمع الأمريكي نصفين تقريباً مثل قضية حق الإجهاض أو حقوق المثليين أو حقوق الأقليات أو حق امتلاك السلاح أو حق الصلاة في المدارس الخ وكان السياسي والصحافي الأمريكي بات بيوكانن، القادم من الحزب الجمهوري، أحد أبرز رموز هذا التيار اليميني المحافظ في السياسة الداخلية،والمعادي للوبي الصهيوني ولحروب الولايات المتحدة في الخارج، في السياسة الخارجية وقد خاض بيوكانن معركته الانتخابية رسمياً ضد جورج بوش في مؤتمر الحزب الجمهوري عام ١٩٩٢ تحت عنوان الحرب الثقافية.

الفصل الثانى: امكانات العرب

يتمتع العالم الإسلامي بمميزات متعددة أكسبته أهمية كبيرة كما جعلته موطناً للصراع بين القوى العالمية المختلفة عبر العصور المختلفة، وأشهر هذه المميزات :

أولاً: الموقع الإستراتيجي: يحتل العالم الإسلامي قلب العالم القديم آسيا، وأفريقيا، وأوروبا ويربط هذه القارات الثلاث، ويشغل مساحات واسعة فيها، فهو يمتد من جزر الملايو شرقاً إلى الأندلس غرباً، ومن تنزانيا جنوب خط الاستواء حتى كازاخستان في الشمال وليس العالم الإسلامي كما يصوره الجغرافيون الأوروبيون قطاعاً صحراوياً فقيراً في موارده، متخلفاً في سكانه، فهو يقع في وسط العالم ممسكاً بأطرافه متحكماً في محيطاته، وبحاره وخطوط ملاحته، زاخراً بأهم الأنهار وأخصب الأراضي، وأعظم الثروات فهو يشرف على أهم الأذرع المائية، من وجهة نظر الملاحة والتجارة الدولية وهي: البحر المتوسط، والبحر الأحمر، والخليج العربي، وبحر العرب، والبحر الأسود وبحر الصين الجنوبي، وهذه الأذرع المائية تتصل بالمسطحات المائية العالمية الكبرى كالمحيط الأطلسي، حيث تعيش مجموعات إسلامية كبيرة على سواحل أفريقية الغربية أي من طنجة شمالاً حتى خليج بيافرا جنوباً، وعلى ساحل المحيط الهندي يعيش المسلمون فى بلدان القطاع الساحلي من

شرق أفريقيا، مثل الصومال، وتنزانيا وأثيوبيا، كما أن العالم الإسلامي يطل على المحيط الهادي من خلال بعض جزر إندونيسيا والفلبين و يشرف على عدة منافذ بحرية عظيمة الأهمية هي:

مضيق جبل طارق الذي يتحكم في اتصال المحيط الأطلسي بالبحر المتوسط ومضيق الدردنيل والبوسفور، ويتحكمان في اتصال البحر الأسود بالبحر المتوسط وقناة السويس الإستراتيجية التي تربط البحر الأحمر بالبحر المتوسط ومضيق باب المندب، وخليج عدن اللذان يتحكمان في اتصال البحر الأحمر ببحر العرب ومضيق هرمز وخليج عمان، ويتحكمان في اتصال المحيط الهندي بالخليج العربي ثم هناك مضيق ملقا وسنغافورة، ويتحكمان في اتصال المحيط الهندي ببحر الصين الجنوبي، والمحيط الهادي.

كل ذلك أكسب العالم الإسلامي أهمية إستراتيجية وعسكرية لها خطورتها في ميزان القوى العالمية، وهذا يفسر لنا تكالب الدول ذات النفوذ على العالم الإسلامي، ورغبتها في السيطرة عليه بالعمل على إثارة المشاكل فيه حتى يبقى ممزقاً، فيسهل عليها التحكم فيه، وتبقيه تحت دائرة نفوذ تلك القوى الاستعمارية.

ثانياً: الموارد الطبيعية: يمتاز العالم الإسلامي بأهمية اقتصادية هائلة بما حباه الله من ثروات طبيعية متنوعة: زراعية، وحيوانية ومعدنية.

الثـروات الزراعيـة: يحـوي العـالم الإسـلامي أراضـي زراعيـة واسـعة، وتجري فيه كثير من الأنهار الهامة، منها نهر النيل ونهر الكونغو ونهر النيجر في أفريقيا، ودجلة والفرات، والسند، والفنج، وسرداريا سيحون، وأمودايـا جيحـون، والعاصـي، والليطـاني، والأردن فـي آسـيا، هـذا بالإضافة إلى المياه الجوفية التي يحظى بها العالم الإسلامي ولاتساع العالم الإسلامي تنوع المناخ، حيث تسود هذا العالم مختلف أنواع المنـاخ الاستوائي، والمداري، والموسمي ،والمعتدل، فالمنـاخ الاستوائي الحـار الممطر طوال العام، ذو الغابات الكثيفة يسود في الملايو،وأكثر الجزر الأندونيسية وجنوب السودان، أما المنـاخ الموسمي الحـار المـاطر صيفا فيسود منـاطق بـنجلاديش، واليمن، وعمـان، ونيجيريـا، وسـاحل غينيـا، وهضبة الحبشة وهنـاك المنـاخ القاري بقسميه الصحراوي الحـار الذي يسود الصحراء الأفريقية الكبرى، وشبة جزيرة العرب، وجنوب إيران، وجنوب باكستان وصحراء ثـار في الهند، أما المنـاخ الصحراوي البـارد ففـي هضبة إيـران وهضبة الأناضول وتركستان كما أن المنـاخ الـدافئ المعتدل (منـاخ البحر المتوسط)، فيسود على شواطئ البحر المتوسط الجنوبيـة، والشرقية، والشـمالية ومـن أهم الغلات الزراعيـة فـي العـالم الإسلامي الأرز- القمح- الخضروات والفواكه- القطن - الحبوب الزيتية- قصب السكر- المطاط.

الثـروات الحيوانيــة: إن تنــوع منــاخ العــالم الإســلامي أدى إلــى وجــود المراعــي الطبيعيــة الواســعة، مثــل حشــائش الســافانا وغيرهــا، وتلــك المراعي والأعشاب هيأت لوجود ثروة حيوانية متنوعة داخل قطاعات العـالم الإسـلامي المختلفـة، مـن مـاعز، وضـأن، وإبـل، وخيـل، وبقـر.

الثروة المائية: إن إطلالــة العــالم الإســلامي علــى البحــار والمحيطــات والمنافذ المائية، واحتوائـه على أنهـار كبيرة، وبحيرات، وبحـار داخليـة كبحـر قـزوين، هيـأ الأسـباب لتـوفر ثـروات مائيـة كبيـرة، مثـل الأسـماك، والأســفنج، واللؤلــؤ، فهنــاك الأســماك والأســفنج واللؤلــؤ ذو الشــهرة الواسعة.

الثـروة المعدنيــة: تحتــوي أراضــي العــالم الإســلامي علــى معــادن تعتبــر ثـروات طبيعيـة هامـة، ومـوارد مسـتغله، وبعضـها غيـر مسـتغل، ومـن أهمها:

البترول والغاز الطبيعي: وتحتل دول العالم الإسلامي مركزا متفوقا في مجال إنتاجه واحتياطية الذي يقدر بأكثر من حوالي ٥٧% من احتياطي العـالم البترولـي، وأكثـر مـن ٥٣% مـن احتيـاطي الغـاز الطبيعـي، وينـتج العالم الإسلامي اليوم نحو ثلث الإنتاج العالمي من النفط، ويساهم بـأكثر مــن نصــف الــنفط المعــروض فــي الأســواق العالميــة، وأهــم المنــاطق الإسلامية لإنتاجه هي:

١ـ منطقـة الخليـج العربـي: المملكـة العربيـة السـعودية، الكويـت، العـراق

،إيران، قطر، البحرين، عمان، والإمارات العربية المتحدة.

٢ـ منطقة جنوب شرق آسيا: وهي ماليزيا، إندونيسيا، سلطنة بروناي.

٣ـ منطقة قفقاسيا بين بحر قزوين والبحر الأسود وتستغله روسيا.

٤ـ منطقة شمال أفريقيا: ليبيا والجزائر.

٥ـ غرب أفريقيا، نيجيريا، والكاميرون، وتوجو.

٦ـ وهناك بعض البترول في مصر، والسودان، واليمن.

والدول العشرة الأوائل في العالم في احتياطي البترول حسب ترتيبها هي: السعودية الكويت روسيا المكسيك إيران العراق الإمارات العربية المتحدة، الولايات المتحدة، فنزويلا، وليبيا ويلاحظ أن من بين هذه الدول العشرة هناك ست دول إسلامية، وهذه دلالة على ما يتمتع به العالم الإسلامي من أهمية بوجود هذه المادة في أراضية.

معادن أخرى: في العالم الإسلامي ثروات معدنية أخرى كالفوسفات الذي تصنع منه الأسمدة الزراعية، ويوجد الفوسفات في المملكة العربية السعودية، وتونس، والأردن، والسنغال، والجزائر، ومصر، وسوريا، وينتج العالم الإسلامي حوالي ٢١% من إنتاج الفوسفات في العالم وهناك الكروم الذي يستعمل في صناعة الصلب، والسبائك الحديدية يوجد في إيران، وتركيا، وباكستان، والسودان، وألبانيا، وأكثر الأقطار الإسلامية إنتاجاً للكروم هي تركيا وتنتج حوالي ٤١% من جملة إنتاج العالم الإسلامي، وتليها ألبانيا، ثم إيران وباكستان، ويبلغ إنتاج العالم

الإسلامي من الكروم حوالي ١٩% من إنتاجه العالمي أما الحديد فموجود في ماليزيا وتركيا وإيران، والمغرب، والجزائر، وباكستان، ومصر، وغينيا، وموريتانيا، وتونس.

وإنتاج العالم الإسلامي من القصدير من ماليزيا، وإندونيسيا، وإيران، والمغرب العربي، وتركيا، ونيجيريا يبلغ أكثر من نصف الإنتاج العالمي وعلى هذه الثروات المعدنية يقوم العديد من الصناعات المهمة التي تسهم في بناء ونمو اقتصاد البلاد الإسلامية، وتساعد على رفع مستوى دخل الأفراد، والنهوض بمستويات المعيشة، خاصة وأن رؤوس الأموال متوفرة في العالم الإسلامي، في البلدان المنتجة للبترول، وكذلك تتوفر الأيدي العاملة وخاصة في البلدان المكتظة بالسكان مثل إندونيسيا، وبنجلاديش، وباكستان

<u>الأهمية الإستراتيجية للعالم الإسلامي:</u> من خلال ما سبق يتضح لنا الأهمية الإستراتيجية للعالم الإسلامي، التي تفوق أهمية غيره من المناطق، نتيجة لما يتمتع به من خصائص هي باختصار:

١ـ موقعه في قلب العالم القديم (آسيا، وأفريقيا، وأوروبا) وتوسطه بين ذلك العالم والعالم الجديد أمريكا الشمالية والجنوبية، وأستراليا.

٢ـ إشرافه على البحار والمحيطات العالمية الهامة.

٣ـتوافر مواد الوقود، وكذلك الموانئ البحرية، وصفاء أجوائه معظم أيام السنة مما جعله مركزاً مهماً للمواصلات العالمية.

٤ـ توافر وتنوع محاصيله ومنتجاته الزراعية.

٥ـ توافر المعادن المتنوعة والضرورية كمواد خام لكافة الصناعات الخفيفة والثقيلة، أضف إلى ذلك ازدياد أهمية هذا العالم بشق قناة السويس التي سهلت اتصال الشرق بالغرب بحراً، وقلصت المسافات إلى حد بعيد.

ثالثاً: أهمية العالم الإسلامي البشرية: سكان العالم الإسلامي مجملهم ومعظمهم مسلمون يكونون أمة الإسلام، أو الأمة الإسلامية، وهي أمة فريدة من حيث ماهيتها ومن حيث مقوماتها، وترابطها ووحدتها، فوحدتها ثابتة ومظاهرها كثيرة، ومتشابهة، ومتشعبة لا مثيل لها وهي قائمة على أسس راسخة أهم مظاهرها: وحدة العقيدة ووحدة العبادة والتشريع والسلوك والعادات والتقاليد ووحدة اللغة ـ وحدة التاريخ والآمال والهدف.

obeikandl.com

الفصل الثالث: تاريخ العداء بين الشر والاسلام

بدأ العداء للاسلام والمسلمين منذ أن اختار الحق سبحانه رجلاً عربياً لرسالته على غير توقع اليهود الذين كانوا ينتظرون نبياً يؤمنون به ويقتلون الكفار كما ورد فى كثير من كتب السيرة وأول ملمح لهذا العداء ظهر فى كلمات بحيرى الراهب أثناء رحلة النبى ﷺ مع أهله الى الشام حيث رأى بحيرى السحابة تظلله فعلم أن هذا هو من تنتظره اليهود ولما علم أنه من قريش حذر أهله من اليهود أن تقتله وتعد هذه الحادثة أول لمحة للعداء للرسالة السماوية الأخيرة ثم بدأ العداء يأخذ منحى آخر تم التعبير عنه بالغزوات التى قاتل فيها المسلمون بجوار النبى ﷺ ومن جاء بعده واستمرت الحروب ضد الاسلام وستستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وتمثلت فى العداء المستحكم بين الدول الاسلامية من أموية وعباسية بعصريها الأول والثانى وبعد انتشار الاسلام رفض الغرب الانصياع له ودبروا المكائد التى بسببها انهارت الأندلس ودول الموحدين والمرابطين وغيرها ثم وبعد ضعف الدول الاسلامية وانكشافها أمام الغرب المحتل وبعد أن قرضوا أطراف الدول الاسلامية توغلوا فى قلبها وقاموا بالاغارة عليها فيما سمى تاريخياً بالحروب الصليبية فمنذ عصورهم الوسطى، وعصور الازدهار الإسلامي، تلك العصور التي خرج فيها بطرس الناسك يحرّض النصارى على حرب

المسلمين واستلاب بيت المقدس من أيديهم، وكان هذا بتأييد البابا في الفاتيكان وكانت الحروب الصليبية التي شغلت العالم الإسلامي قرابة قرنين من الزمان، عادت منها أوروبا وهى تعرف أصول نهضة المسلمين، فأفادوا من ذلك وعاد المسلمون إلى النوم والسبات أو مداواة آثار تلك الحروب الطويلة ومع ذلك فقد كان ظهور الدولة العثمانية نصراً للإسلام والمسلمين طوال حياة هذه الدولة ونهضت أوروبا في جميع المجالات،وأفادت من تراث المسلمين، وكان رد الجميل أن امتلأت مكتبات أوروبا بمئات أو ألوف المؤلفات التي تقطر حقداً على الإسلام والمسلمين حتى أصبح الأوروبيون يتوارثون العداء لنا ليس من خلال تراثهم الفكري فقط بل دخل في تركيب جيناتهم وموروثاتهم، وعندما أراد الأوروبيون تغيير خطتهم في الحرب ضد الإسلام والمسلمين كتب بعضهم كتباً ينتقدون فيها أجدادهم أو الحقد الأوروبي الذي كانت الكنيسة رائدته ومن أمثلة هذه الكتب كتاب ريتشارد سوذرن صورة الإسلام في العصور الوسطى، وكتاب نورمان دانيال الإسلام والغرب: صناعة الصورة ولم تتناول هذه الكتابات إلاّ جانبا واحداً من علاقة المسلمين بالنصارى أو بالغرب ويقول في ذلك الدكتور رضوان السيد- الذي ترجم الكتاب الأول: لكن الوجوه الأخرى لعلاقة الحضارة الإسلامية بالغرب على المستويات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية بقيت بمنأى عن المعالجة ولو نجحت هذه الكتابات حقاً لما ظل الحقد والعداء يسيطر على

كتابات كثير من الغربيين حتى هذه الساعة وهذه فرنسا ما كادت تنجح ثورتها المشهورة التي عدت من الثورات (١)الكبرى في تاريخ البشرية وأعلنت مبادئ حقوق الإنسان الذي يفتخر به الغرب حتى نقضت هذه الحقوق بالنسبة للمسلمين، ويقول في ذلك عصمت سيف الدولة في محاضرة له حول الإسلام وحقوق الإنسان حتى عرفنا من واقع تاريخنا كيف تتحول الكلمات الكبيرة النبيلة إلى كبائر، فنحن لا نستطيع أن ننسى أن أصحاب إعلان حقوق الإنسان والمواطن الفرنسي هم الذين لم يلبثوا قبل أن يجف حبر إعلانهم أن أعدّوا العدة وأرسلوا قواتهم بقيادة فتاهم نابليون لاحتلال مصر ولقد صحب نابليون معه في حملته على مصر جيشاً من المستشرقين والعلماء ليس حباً في مصر، ولكن لإحكام السيطرة عليها في جميع المجالات ولما غادر نابليون مصر بعث إلى نائبه في مصر أن يبعث إليه ٥٠٠أو ٦٠٠ شيخاً من المماليك، والهدف من هذه البعثة كما يقول محمود شاكر في كتابه رسالة في الطريق إلى ثقافتنا نقلاً عن رسالة نابليون: فإذا ما وصل هؤلاء إلى فرنسا يحجزون مدة سنة أو سنتين يشاهدون في أثنائها عظمة الأمة الفرنسية، ويعتادون على تقاليدنا ولغتنا، ولما يعودوا إلى مصر يكون لنا منهم

١- الفكر الإسلامي المعاصر وحقوق الإنسان- رضوان السيد -الحياة ٢١ديسمبر ١٩٩٤

حزب يضم إلى غيرهم وقد كتب محمد المنوني في كتابه يقظة المغرب العربي أن المشرف الفرنسي على إحدى بعثات طلاب المغرب طلب أن يبقى طلاب المغرب مدة أطول في فرنسا بعد انتهاء بعثتهم ليتشبعوا بعظمة فرنسا وحضارتها وكان من تخطيط هؤلاء الاستيلاء على عقول بعض شباب البلاد من خلال الابتعاث إلى أوروبا عامة وفرنسا خاصة ويقول محمود شاكر وسنحت لجومار أحد المستشرقين أعظم فرصة باستجابة محمد علي لإرسال بعثات إلى أوروبا فبنى مشروعه على شباب غض يبقون في فرنسا سنوات تطول أو تقصر يكونوا أشد استجابة لاعتياد لغة فرنسا وتقاليدها ويكون أثرهم أشد تأثيراً في بناء جماهير كثيرة تبث الأفكار التي يتلقونها في صميم شعب دار الإسلام في مصر وحل الاستعمار الإنجليزي بمصر وبغير مصر فظهر عداء الغرب للإسلام والمسلمين، ولو اقتصر الأمر على حرمان بلد مسلم من السيادة والاستقلال لهان الأمر لأن روح الجهاد إذا ما استيقظت لم يبق للأجنبي وجود ولكن الغرب يعرف هذا تماماً فكان حرصه على قتل هذه الروح فما كان لهم من سبيل إلاّ العبث بالتعليم، فلما تولى اللورد كرومر منصب أول حاكم عام لمصر ١٨٩٣-١٩٠٧م، كان رأيه إن الخلاف الشديد بين المسلمين والمستعمر الغربي في العقائد والقيم والتقاليد واللغة والفن، و الموسيقى ولا بد من التغلب على هذا الخلاف وثمة طريقان في رأيه أحدهما هو تربية جيل من المصريين العصريين الذين ينشؤون تنشئة

خاصة تقربهم من الأوروبيين ومن الإنجليز على وجه الخصوص في طرائق السلوك والتفكير، ومن أجل ذلك أنشأ كرومر كلية فيكتوريا التي قصد بها تربية جيل من أبناء الحكام والزعماء والوجهاء في محيط إنجليزي ليكونوا بعد ذلك أدوات المستعمر الغربي في إدارة شؤون المسلمين،وليكونوا في الوقت نفسه بمضي الوقت أدواته في التقريب بين المسلمين وبين المستعمر الأوروبي، وفي نشر الحضارة الغربية وقد قال أحد الذين درسوا في هذه المدرسة أنهم كان محرما عليهم التحدث باللغة العربية في المدرسة، ويعاقب من يضبط متلبسا بالحديث باللغة العربية أما الصلاة والدين فلم يكن لهما مكان في هذه المدرسة.

وكان التعليم في عهد كرومر قد أنيط بالقسيس دانلوب الذي يقول عنه محمود شاكر: فأسند التعليم إلى قسّيس مبشر خبيث هو دانلوب وقد جاء الاستشراق الإنجليزي ليحدث في ثقافة الأمة المصرية صدعاً متفاقماً أخبث وأعتى من الصدع الذي أحدثه الاستشراق الفرنسي وهذا الصدع هو ربط الثقافة المصرية بالفرعونية وكان موقف الاحتلال الإنجليزي في الأردن شبيهاً بما حدث في مصر فحدد المندوب البريطانى الحصص المخصصة للدين وأما المنهج الدراسي فكان ضعيفا حيث لم تزد عدد السور المطلوب حفظها عن بضعة سور في المرحلة الابتدائية، ولم يكن ثمة مكان لحفظ أي عدد من الأحاديث النبوية الشريفة أليس هذا التدخل في المناهج الدراسية يعد من العداء للإسلام والمسلمين ومن الحقائق

التاريخية والواقعية التى نتجت عن تأثير التعليم الغربى فى نفس المسلم ما قاله آصف حسين الباحث المسلم الذي يعيش في بريطانيا فى كتاب بعنوان صراع الغرب مع الإسلام جاء فيه غالباً ما يتهم الغرب بأنه معاد للإسلام وللعالم الإسلامي، وتهدف هذه الدراسة إلى البحث في مدى صحة هذه الفكرة وهل هي من صنع الخيال وتحدث المؤلف عن معاداة السامية في الغرب وسبب ظهورها، كما تناول النزعة العنصرية لدى الأوروبيين، وقد بدأت اللاسامية بالاختفاء بسبب قوة اليهود في الغرب فبقيت النزعة العنصرية، وقد استشهد آصف حسين بمقولتين اختارهما عشوائيا للدلالة على هذا العداء فالمقولة الأولى ليهودي فرنسي هو نائب رئيس لجنة اليهود الفرنسيين ليس في فرنسا مشكلة عنصرية، إن المشكلة تجد طرقاً للاستمرار بظهور الإسلام (١) والمقولة الثانية هي لوزير ينتمي لحزب المحافظين يقول فيها: يجب إعادة فتح بريطانيا للانجليز، ويجب طرد المسلمين إلى ديارهم إذا كانوا لا يستطيعون أن يعيشوا في بلد يسمح فيه لسلمان رشدي بحرية التعبير عن آرائه(٢) وإلى نموذج آخر من هذا العداء فمن راجع بعض أنشطة الاستشراق في الهيئات والمؤسسات العلمية والثقافية البريطانية يجد عدداً من الذين رفضت أعمالهم في البلاد العربية الإسلامية هم الذين يتصدرون هذه

١- الجارديان ٢٦ أبريل ١٩٨٨م ٢- الجارديان ٢٩ أغسطس ١٩٨٨م

الندوات والمحاضرات فهؤلاء الذين تفتح لهم الأبواب على مصاريعها وهم الذين يحاربون ثوابت الأمة الإسلامية، ويحتقرونها، وينتقدون الإسلام والمسلمين والدليل قيام معهد الفنون الحديثة باستضافة عدد من الكتاب والأدباء العرب لإلقاء محاضرات أو المشاركة في ندوات والمعهد مؤسسة غير ربحية مسجلة في بريطانيا ولهذه المؤسسة أهداف تعليمية خيرية،ويحصل المعهد على مساعدة مالية من مجلس الفنون البريطاني ومعهد الفيلم البريطاني ومؤسسة راين ومن أهداف المعهد توفير المكان للتعبير عن وجهات النظر المتعددة أما الذين استضافهم هذا المعهد فمنهم صاحب رواية الخبز الحافي، الممنوعة في البلاد العربية وتسخر من الإسلام وصاحب رواية مدن الملح التي لا تختلف عن الخبز الحافي وقدم المعهد نوال السعداوي وحنان الشيح وعائشة جبار وغيرهم ٠

<u>تاريخ الاستعمار</u>

وقعت المجتمعات الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها تحت سيطرة أعداء الإسلام، الذين عملوا على زيادة تشتت المسلمين وبث الأفكار الباطلة والهدامة بينهم، فتصدع البنيان الإسلامي، وتفرق المسلمون طوائف ونحلاً متفرقة متنافرة متحاربة وقد تمثلت الهجمات التخريبية على مجتمعاتنا المسلمة فى مجموعات كبرى كان أقواها:

١ ـ الغزو المغولي التتري: وما أدى إليه من تفكك الخلافة الإسلامية،

خاصة وأن تلك الخلافة كانت قد شهدت انقساماً سياسياً حاداً، فقد شهد القرن الرابع الهجري /العاشر الميلادي، ظهور ثلاثة خلفاء في العالم الإسلامي: الخليفة العباسي في بغداد، والخليفة الفاطمي في مصر، والخليفة الأموي في الأندلس، فتصدعت الوحدة الإسلامية، وضعف العالم الإسلامي في مواجهة أعدائه وكانت أحوال الخلافة العباسية من الضعف بمكان بحيث استطاع هولاكو الوصول إلى بغداد عاصمة دار الإسلام، فأحدث فيها خراب ودمار، منهياً بذلك الخلافة العباسية في بغداد، ثم تقدم نحو الشام، فأحدث فيها ما فعله في العراق، فسقطت له دمشق، واشتركت معه فرق نصرانية أرمنية وأفرنجية حباً في التشفي والانتقام من المسلمين، فنظموا مواكب عامة، وحملوا الصلبان، وأخذوا يذمون الإسلام وأهله، وأجبروا المسلمين على أن يقفوا احتراماً لمواكبهم، وبلغ بهم الحد أن شربوا الخمر في رمضان، ورشوه على ثياب المسلمين في الطرقات، وهكذا ذُل المسلمين على أيدي المغول وحلفائهم النصارى حتى قيض الله للمسلمين المماليك في مصر الذين استطاعوا الوقوف أمام هذا الخطر وردوا المغول على أعقابهم، فهزموا جحافلهم في معركة عين جالوت عام ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م، بعد أن كان المغول قد أسهموا في ضعف العالم الإسلامي وفي إنهاكه.

٢ـ الحركة الصهيونية: هناك عوامل تعود في أصلها إلى اليهود وموقفهم من الإسلام منذ ظهوره وحتى يومنا هذا، وعدائهم للإسلام ونبيه ﷺ في

المدينـة، بـل فـي الجزيـرة العربيـة كلهـا، أمـر تزخـر بـه كتـب السـيرة والتاريخ، فهناك مؤامراتهم ضد الرسول ﷺ، ومحـاولاتهم وقف الدعوة الإسلامية، ببث الفرقة والخلاف بين المسلمين من جهة، وبينه وبين أهل المدينـة من جهـة أخرى، ثم نقضـهم للعهود والصد عن الإسلام بشتى الوسـائل بـل إن عـداءهم للإسـلام وأهلـه اسـتمر حتـى إسـقاط الخلافـة العثمانيـة وكـذلك فـي الحركـة الصـهيونية، ومـا قامـت بـه مـن اسـتلاب لأراضي فلسطين، وتشريد أهلها، ثم ما تقوم به من اعتداءات على الدول العربية والإسلامية المجاورة ،وعلى الحركات الإسلامية في تلك البلاد وتشكلت هذه الحركة لتجميع يهود العالم في كيان صهيوني في فلسطين استناداً على مزاعم دينية وتاريخية باطلة وإقامة دولتها الكبرى التي تمتد من الفرات إلى النيل ولتشكل تحدياً رئيسياً للإسلام والمسلمين، لا يقل عن التحدي الصليبي الذي واجهه المسلمون، ولا يزالوا يواجهونه حتى اليوم ويتمثل في ارتباط الصهيونية بالاستعمار وتعاونها معهم بغرض تمزيق وحدة العرب والمسلمين، والحيلولة دون وحدة العالم الإسلامي بالفصل بين قارتي آسيا وأفريقيا وكذلك محاولة إتمام الغزو الثقافي للعالم الإسلامي بتدمير كل قيمه وأنظمته وأخلاقه، وإحلال أسلوب الإلحاد والإباحية، ثم بثها للفكر الماسوني المرتبط بها، وذلك في محاولة لتدمير الدين وفرض الهيمنة اليهودية والماسونية من أشد الأخطار التي يواجهها العالم الإسلامي لأنها تعمل في الخفاء، وتبث

سمومها بين أبناء المسلمين بأساليب ماكرة ملتوية قد لا يدركها الكثير من شباب المسلمين المثقف.

٣- الحروب الصليبية: وهي إحدى مظاهر عداء الغرب الصليبي للإسلام وأهله، ولعلها التحدي الأكبر الذي واجهه العالم الإسلامي في القرون الوسطى، والذي استغل ظروف الانقسام التي كان يمر بها، فحاولت زرع كيان صليبي غريب في قلب ذلك العالم، فكانت أول تجربة للاستعمار الغربي الحديث في الأراضي الإسلامية، فانتزعت بعض أراضيه وأقامت فيه ممالكها الصليبية، وأدخلت ذلك الجزء من عالم الإسلام في دوامة حروب وصراع استنفذ جهوده، وموارده الاقتصادية والبشرية، مما أدى إلى الانهيار الذي تعرض له في أواخر القرون الوسطى وكانت الحروب الصليبية سنة ١٠٩٩ م ـ ١٢٥٤ م في حقيقتها وسيلة لاستعمار الشرق الإسلامي والقضاء على الإسلام تحت شعار الدين، وقد سبقها تمزق الوجود الإسلامي في الأندلس، وتفرق حكامه، ورجحان كفة الحكام النصارى عليهم، وبدأت حروب الإسلام وأهله بحروب صليبية لا تقل شراسة عن الحملات الصليبية التي ستتوجه إلى الأراضي المقدسة في فلسطين، وبدأت عمليات تفتيت المسلمين مادياً ومعنوياً بصورة بطيئة، مع تجريدهم بصورة مستمرة من مصادر قوتهم وتم عزل الأندلس عن قاعدته في المغرب الإسلامي، ولكنه بالرغم من ذلك بقي يقاوم على مدى قرون عديدة، إلى أن سقطت غرناطة، فاغتصبت أرض الأندلس

الإسلامية وأزيل الوجود الإسلامي تماماً، وعانى المسلمون ،كما عانى إخوانهم في المشرق عندما تدفقت عليهم جموع الصليبيين، فاستولوا على عاصمة الأتراك السلاجقة المسلمين في نيقية سنة ٤٩١ هـ / ١٠٩٧ م وكونوا في بلاد الشام، وآسيا الصغرى، إمارة الرها، وإنطاكية وطرابلس ومملكة بيت المقدس اللاتينية عام ٤٩٢ هـ / ١٠٩٨ م، وضرب الصليبيون آنذاك مثالاً للحقد على الإسلام والمسلمين، فاتسم الغزو بروح التعصب والانتقام، فقد سفكوا دماء المسلمين، ومن ذلك سفك دماء حوالي سبعين ألف مسلم أو يزيد في ساحة المسجد الأقصى من العلماء، والطلاب والعباد، والزهاد، ومثل ذلك في مدن المسلمين التي اجتاحوها، ففي المعرة قتلوا جميع من كان فيها من المسلمين اللاجئين إلى الجوامع، فأهلكوا ما يزيد عن مائة ألف إنسان في أكثر الروايات وهكذا استطاعت الحروب الصليبية التي استمرت قرنين في المشرق، استنزاف جميع القوى البشرية ،والمادية في الشام ومصر، فضعفت أوضاع المسلمين الاقتصادية، وتناقصت الثروة، بالإضافة إلى الخراب والدمار الذي حل بالمسلمين خاصة في الشام ومصر وآسيا الصغرى وتونس، والأندلس، كما أن تلك الحروب كانت مقدمة للاستعمار الأوروبي الحديث ولكل ما نتج عن ذلك الاستعمار من آثار سلبية في كل أنحاء العالم الإسلامي ثقافياً، وسياسياً، واقتصادياً، واجتماعياً.

obeikandl.com

الفصل الرابع: الوضع العربى

يفصل بين المسلمين اليوم حدود سياسية، وفرقة اجتماعية واقتصادية، بسبب الاستعمار الذي أصاب العديد من دول العالم الإسلامي، ومع ذلك فهناك عوامل كثيرة لا تزال إلى حد كبير تؤلف بينهم، وتربط بين أقطارهم، ومن أهمهاالدين الإسلامي واللغة العربية لغة القرآن والتاريخ الإسلامي المشترك

حاضر العالم الإسلامي: واجه الإسلام كثيراً من التحديات من أول ظهوره، وتعرض لكثير منها داخلية وخارجية أثناء مسيرته، ولكنه بقى واستمر وانتشر، وظل ينتشر حتى يومنا هذا واستمر الحال كذلك إلى أن دخل الوهن والزيغ إلى قلوب المسلمين فتغيرت أحوالهم وأصابهم الضعف وانتقل الإسلام وأهله من مواقع القيادة والريادة إلى موضع التبعية والهوان وكان وراء ذلك كله عوامل داخلية وخارجية، أثرت على نقل العالم الإسلامي من ماضيه التليد إلى حاضره الأليم.

عوامل ضعف العالم الإسلامى : هناك خلاف وجدل بين المفكرين المسلمين، والمهتمين بأمر الأمة الإسلامية، حول تحديد الأسباب التي أدت إلى تأخر المسلمين وضعفهم، فقد رد أصحاب الدعوات وحركات الإصلاح السلفية سبب تأخر المسلمين إلى ابتعادهم عن تعاليم دينهم الصحيحة، وشيوع البدع والضلالات بينهم، ثم إلى تشتتهم فرق تتنازع فتبددت طاقتهم المادية والفكرية وتمكن منهم عدوهم ويرى أصحاب هذا

الرأي أن الرجوع بالإسلام إلى ماضيه التليد لن يكون إلا بتنقية الدين من البدع والشوائب التي ألمت به، وباعدت بين المسلمين وبين جوهر الدين الصحيح أما عن أصحاب الاتجاهات الحديثة في التجديد الإسلامي، فقد أشار جمال الدين الأفغاني، والشيخ محمد عبده أن سبب تأخر المسلمين يرجع إلى عزوفهم عن الأخذ بالمفيد من أساليب الحضارة الغربية، وبالذات بالجانب التقني منها مع النهي والبعد في نفس الوقت عن التقليد الأعمى للغرب وحضارته، خاصة في جوانبها الفكرية والثقافية أما الرأي الآخر الذي لا يمثل وجهة النظر الإسلامية الصحيحة فهو ما قال به بعض العلمانيين أن سبب تأخر المسلمين راجع إلى التعصب الديني، وإلى عدم مواكبة الإسلام لروح العصر، وغير ذلك من الترهات والأباطيل التي لا يرضاها مسلم غيور على دينه.

أما شكيب أرسلان، الذي يمثل رأي الحادبين على مصلحة الإسلام والمسلمين فيُرجع تأخر المسلمين إلى أسباب عدة، مثل الجهل والعلم الناقص، وعدم الفهم الصحيح لمبادئ الإسلام، والتخلق بأخلاقه السمحة، ثم كذلك ضياع الإسلام بين الجامدين من علمائه، والجاحدين عليه وهناك آخرون يعددون أسباباً أخرى بعضها سياسي، مثل الانقسام السياسي لدولة الإسلام، وبعضها أخلاقي تربوي، مثل غياب حرية الفكر، وتعميم المعرفة.

وكل هذه العوامل التي عددها أولئك الباحثون هي في الواقع عوامل داخلية، ولعل معظمها ينحصر في ضعف التمسك بالعقيدة الإسلامية، الأمر الذي أفقد المسلمين عنصر من عناصر وحدتهم وريادتهم، وجعلهم يجهلون ثوابت عقيدتهم الإسلامية، التي بها ساد المسلمون الأولون، فتخلى بعض المسلمون اليوم عن الحكم بما أنزل الله، وطبقوا الشرائع المدنية الوضعية بدلاً عن شرعهم الإسلامي، فساد الاضطراب، وفسدت الحياة ويمكن ايجاز عوامل ضعف العالم الإسلامي في:

الاستعمار الأوروبي- حركتي الاستشراق والتنصير - دعوات الإلحاد الآتية من خارج العالم الإسلامي

<u>نتائج ضعف العالم الإسلامي</u>: لقد تكالبت كل هذه العوامل بتنوعها على إضعاف العالم الإسلامي، واتخذ هذا الضعف عدة مظاهر، منها:

أولاً: الابتعاد عن تطبيق الشريعة الإسلامية فبضعف العالم الإسلامي تخلى المسلمون عن دورهم الريادي في قيادة البشرية، وعن واجباتهم وتبعاتهم الإسلامية، وقعدوا عن إعمال العقل ففترت فيهم روح الاجتهاد وركنوا إلى التبعية والتقليد، وانقطعت صلتهم بماضيهم وإرثهم الإسلامي، وشملهم الجمود، وقتلت فيهم روح التجديد والإبداع، بل دار علماؤهم حول ذلك الماضي، وعكفوا على نصوص الماضين، وعلى كتبهم يعجبون بها، ولا يتعلمون منها، ويقفون عاجزين أمامها، ينزلونها

أحياناً منزلة العصمة والقداسة، فماتت في الأمة روح الإبداع والابتكار، ومواكبة العصر، ومواجهة تحدياته وعندما بدأ العالم الإسلامي يفيق من غفوته، وينفض عنه غبار الجمود منذ أواخر القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي، نتيجة لحركات الإصلاح، كحركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نجد، والسنوسي في ليبيا، والمهدي في السودان، والسلفية في الهند، وحركة عثمان دان فوديو في غرب أفريقيا في ذلك الوقت كان الاستعمار الغربي قد بدأ يمد سيطرته على عالم الإسلام، مستعيناً بحركات التنصير، فاشتد التحدي، ولم شعث المسلمين، وبث الحياة من جديد في أوساطهم، وإعادة الثقة إلى نفوسهم، وكان نجاحها محدوداً في مناطق محدودة وقد بدأ الاستعمار حربه ضد الإسلام والمسلمين بإبعادهم عن تراثهم الفكري الإسلامي، فبدأ بالشريعة الإسلامية، فأبعدها عن كافة مناحي الحياة الفعلية، وأخذ يشوه معالمها فكرياً ليصرف المسلمين عنها، وقد عمل فعلاً على إلغائها تدريجياً، واستبدلها بالقوانين الوضعية، باستثناء قانون الأحوال الشخصية، فعل ذلك في الهند عندما تمت له السيطرة عليها، وألغاها في السودان حينما قضى على الثورة المهدية عام ١٣١٧ / ١٨٩٩ م، ولم يقف الحال عند هذا الحد بل امتد تآمر الاستعمار الغربي إلى طمس معالم الحكم الإسلامي في الدولة العثمانية، وامتدت حركة استبدال الشريعة الإسلامية بقوانين وضعية أخرى إلى مصر، وذلك منذ أن دخلها نابليون غازياً عام ١٧٩٨

م، واستمرت حركة التبديل والتحديث – كما أسموها – على عهد محمد علي وأبنائه، واكتملت حلقات التآمر على الشريعة عندما احتل البريطانيون مصر عام ١٨٨٢ م ،وكذلك كان حال بلاد الشمال الأفريقي تحت حكم الاستعمار الفرنسي، ففي تونس طبق القانون الوضعي المقتبس من القوانين الفرنسية عام ١٣٣٣ م / ١٩٢٤ م، ولم يكن الحال في المغرب والجزائر بأسعد منه في تونس، حيث بدأت فرنسا في تعطيل أحكام الشريعة في كلا البلدين، وإحلال الأعراف البربرية، والقبلية محل قوانين الشريعة الإسلامية، كوسيلة للقضاء على الكيان المغربي، والهوية الإسلامية في المغرب والجزائر، وربما أخرج القبائل البربرية من الإسلام، لأن الفرنسيين كانوا موقنين أن التخلي عن التحاكم لغير الشريعة الإسلامية هو في الواقع تخل نهائي عن الإسلام وهكذا أبطل العمل بالشريعة الإسلامية في معظم البلاد الإسلامية التي وقعت فريسة للهيمنة الاستعمارية، وزج العمل بها في زاوية ضيقة هي زاوية الأحوال الشخصية، التي يحاول العلمانيون من أبناء الأمة الإسلامية إبطال العمل بها، وقد نجحوا في ذلك في بعض البلدان الإسلامية.

ثانياً: إلغاء الخلافة العثمانية وانحلال الوحدة الإسلامية والدولة العثمانية

هي آخر دول الإسلام الكبرى التي عرفها العالم امتدت فى ثلاث قارات: آسيا، وأوروبا، وأفريقيا، وحمت الإسلام في وقت كان فيه الصليبيون والبرتغاليون يهددونه من جهة الجنوب الشرقي، والروس من جهة

الشمال، كما أن الدولة العثمانية حملت راية الإسلام إلى منطقة البلقان وأزالت الدولة البيزنطية من الوجود حين فتحت عاصمتها القسطنطينية في عام ٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م التي استعصت على المسلمين ما يربو على ثمانية قرون، وهكذا جُعلت القسطنطينية عاصمة لدار الإسلام ،وحمل سلاطينها العظام الإسلام حتى أبواب فيينا، وحملوا أيضاً إلى جنوب روسيا، وساحل بحر الأدرياتيك، وبجهودهم عم الإسلام ما يعرف اليوم بدول أوروبا الشرقية، بل إنهم هددوا أوروبا الغربية ذاتها حينما حاصروا فيينا مرتين، وفيينا كانت هي بوابة أوروبا الغربية من ناحية الشرق، ولو سقطت لهم لانفتح الباب أمام الإسلام، فعم معظم أجزاء أوروبا الغربية وظلت الدولة العثمانية هي القوة الحارسة للعالم الإسلامي لفترة أربعة قرون كاملة، فقد حفظت للشمال الأفريقي إسلامه عندما وقفت ضد أطماع الأسبان، الذين حاولوا استعماره بعد أن قضوا على الدولة الإسلامية في الأندلس كما أن السلاطين العثمانيين جعلوا من البحر الأحمر بحراً إسلامياً، وحرموا على السفن النصرانية الملاحة فيه، وذلك لإطلاله على الأماكن الإسلامية المقدسة في الحجاز، كما أنهم حاولوا مع الدولة المملوكية صد الخطر البرتغالي عن ذلك البحر، عندما بدأ البرتغاليون يبسطون نفوذهم على بعض سواحله، في محاولاتهم الهيمنة على تجارة الشرق التي كانت في أيدي التجار المسلمين ويجب أن لا ننسى هنا مواقف وجهود السلطان عبد الحميد الثاني من المطامع

الصهيونية في فلسطين، ورفضه السماح لليهود بالهجرة إليها رغم إغراءاتهم المالية له في وقت كانت الدولة العثمانية تعاني من ضائقة اقتصادية خانقة ومهما قيل عن الدولة العثمانية من جانب بعض الكتاب القوميين العرب والعلمانيين، السائرين في ركاب المفاهيم الغربية، من أنها دولة استعمارية أخضعت الشعوب بالقسر والقوة، وكبتت الحريات إلى غير ذلك من المساوئ التي يعددها أولئك المنساقون وراء كتاب الغرب، إلا أن الثابت تاريخياً أن تلك الدولة العثمانية ذادت عن حمى الإسلام وأسست خدمات جليلة له وللمسلمين على امتداد تاريخها، وتكفي الإشارة إلى أنه في كنفها تحقق لجزء كبير من العالم الإسلامي وحدة إسلامية لم يشهدها في عصوره الحديثة، فقد ظلت المنطقة من العراق شرقاً إلى مراكش غرباً تنعم بالوحدة، والهدوء والاستقرار، وظل المسلمون أعزاء في ديارهم تلك، وظلت الخلافة العثمانية قوة يهابها أعداء الإسلام، ويحسبون لها ألف حساب.

ولقد حاولت أوروبا إيقاف الخطر العثماني، ووضع حد للفتوحات العثمانية بعقد تحالفات بين بعض دولها، بل ومحاربة العثمانيين مرات عديدة، إذ كانت أوروبا تخشى أن تتكرر أحداث التاريخ فيعود للمسلمين مجدهم وعزهم في ظل الخلافة العثمانية، فظلت تعمل من أجل القضاء على الخلافة بسبل دبلوماسية أحياناً، وحربية أحياناً أخرى وقد أدى هذا الصراع المستمر بين الدولة العثمانية وأعدائها الأوروبيون إلى جانب

عوامل اقتصادية وسياسية داخلية وخارجية إلى ضعفها، وبداية تدهورها، الأمر الذي أدى إلى ظهور ما عرف بالمسألة الشرقية التي كانت تعني ببساطة طرد العثمانيين من ولاياتهم الأوروبية، كخطوة أولى في عملية تحجيم الإسلام، والقضاء على الخلافة العثمانية، ويمكن القول أن الفترة التي أعقبت السلطان عبد الحميد وتولي الاتحاديين للحكم هي الفترة التي تمكن فيها الاستعمار ورجال الحكم العثماني من العمل التدريجي لتصفية الدولة العثمانية، فقام الاتحاديون بإتباع سياسات قومية باعدت بينهم وبين عناصر الولاء من المسلمين، من عرب وألبان وغيرهم، وحلت عرى الوحدة الإسلامية التي كانت تجمع شتى رعايا الدولة، كما أنهم قاموا بإضعاف الخليفة، فجعلوه رمزاً أشبه بأسير في أيديهم، وكذلك مكنوا للقوى الأوروبية الطامعة في دولتهم، وانساقوا وراء مخططاتها الرامية إلى إزالة الخلافة العثمانية مصدر وحدة المسلمين وقوتهم، ومصدر خوف أوروبا وقلقها وكان بداية التآمر على الخلافة يوم أن أعلنت الجمعية الوطنية التركية عام ١٣٤١ / ١٩٢٣ م قيام الجمهورية في تركيا، وانتخبت مصطفى كمال أول رئيس لها، ففصلت بذلك بين السياسة والخلافة، وجعلتها رمزاً دينياً لا غير، الأمر الذي مكن مصطفى كمال بمساندة بعض القيادات التركية العلمانية من إلغاء الخلافة نهائياً في ٢ مارس ١٩٢٤ م / ١٣٤٢ هـ، مقدماً بذلك أعظم هدية للغرب الأوروبي النصراني، وقد أثار ذلك الإلغاء موجة من

الاستياء الشديد عمت العالم الإسلامي كله، وقد جرت بعض المحاولات لإحياء الخلافة من جديد، ولكن الأحوال لم تكن ملائمة لإحيائها ومصطفى كمال عندما ألغى الخلافة كان ينفذ مخططاً غربياً مرسوماً له، نصت عليه اتفاقية لوزان ١٣٤٠ هـ / ١٩٢٣ م التي فرضت على تركيا شروطاً للصلح معروفة بشروط لوزان الأربع وهي:

قطع كل صلة لتركيا بالإسلام - إلغاء الخلافة الإسلامية - إخراج الخليفة العثماني من البلاد، ومصادرة أملاكه، وإخراج أنصار الخلافة من المسلمين المتحمسين لها، والتعهد بإخماد كل حركة موالية للخلافة - اتخاذ دستور مدني بدلاً من دستور تركيا القديم القائم على الشريعة الإسلامية وظلت حكومة مصطفى كمال تنفذ مخططها الرامي إلى محو الإسلام من تركيا كخطوة أولى نحو إلحاقها بالغرب الأوروبي دولة تابعة له، سائرة في ركابه وتمادى بعد ذلك مصطفى كمال في حربه للإسلام، فحدد عدد المساجد وعدد الوعاظ فيها، وحتى خطبة الجمعة حدد لها موضوعاتها، كأن تتعرض بالمدح والإطناب لسياسات الحكومة الزراعية والاقتصادية وغيرها، ثم ألغى الشريعة الإسلامية وأحل محلها القانون الوضعي، واستبدل التقويم الهجري بالتقويم الميلادي، وحتى العطلة الرسمية غيرها من يوم الجمعة إلى يوم الأحد، وتدخل في زي الناس، فأمر بلبس القبعة تشبهاً بالأوروبيين، بدلاً عن زي الرأس العثماني، ومضى ليستبدل أحرف اللغة العثمانية العربية بالأحرف اللاتينية، محاولاً

قطع صلة تركيا بماضيها، وبتراثها الإسلامي، إلى الحد الذي ألغى فيه الحجاب الإسلامي، وهكذا كانت بداية انقطاع تركيا عن عالمها الإسلامي، واتجاهها نحو أوروبا، ونحو علمانية مطلقة

obeikandl.com